

لا شك أن هناك فرقاً أساسياً بين العلوم المادية وبين العلوم الإنسانية ، فإن « كلاً من الملحد والروحاني يتفقان على تحليل قطعة الصوديوم كلورايد (الملح) ولكن شتان بين رأييهما حول الذات الإنسانية»^(١) ومن ثم تتباين مناهج هذه العلوم .

غير أن جل المستشرقين وقع في هذا الخطأ باعتبار أن مناهجهم^(٢) تقوم على دراسة الظاهرة الفكرية كظاهرة مادية خالصة ، وكتاريخ خالص مكون من شخصيات وأنظمة اجتماعية وحوادث تاريخية محضة ، يمكن فهمها بتحليلها إلى عوامل مختلفة سياسية واقتصادية واجتماعية تحدد نشأتها وطبيعتها، وهكذا تفقد الظاهرة طابعها المثالي ، وتنقطع عن أصلها في الوحي وتصبح ظاهرة مادية خالصة .

وسبب هذا الخطأ أن جل المستشرقين يهود ونصارى وهم ينكرون الوحي إلى نبيينا محمد «ﷺ» ، فاليهود ينكرون الوحي إلى عيسى ومحمد - عليهما السلام - بينما النصارى ينكرونه إلى محمد ، وهذا في حد ذاته يعد حاجزاً نفسياً .

أمام إرجاع مايدرسونه من إسلاميات إلى أصولها في الكتاب والسنة - بل إن هذا الحاجز تأدى بهم إلى إرجاع الوحي القرآني إلى نتاج تاريخي^(٣) .

من ناحية أخرى فإن المستشرق ابن بيته التي تربى فيها ورضع لغتها وثقافتها ومناهجها . نقصد أن هذه المناهج جاءت بعد خيبة الأمل التي حصلت - لهم - من كشف أخطاء الموروث - عندهم - وكل مصدر سابق للمعرفة باسم الوحي أو الدين نتيجة تسلط الكنيسة باسم الدين وحدث الخلاف بين العلم والدين في الغرب ، ثم الحملة على الدين بصفة عامة - مع أنهم لم يكونوا قد عرفوا الإسلام - مع أن الخلاف كان بين العلماء وبين تفسيرات دين الغرب .

وقد ترتب على ذلك ، فضلاً عن الثقة المطلقة في المعرفة العقلية ، ظهور أو انتعاش المذاهب المادية وسيادتها بظهور المذهب الوضعي على يد أوجست كونت في القرن التاسع عشر، فأصبح - من وجهة نظرهم - كل فكر تاريخياً، وكل وحي أصبح من نتاج البيئة وفعل الأساطير وإسقاطات الشعوب^(٤) .

إن الصدام التقليدي بين الدين والعلم - في أوروبا - نتاج من نتاج القرنين الثامن عشر والتاسع عشر وهما العصران اللذان ظهرت فيهما العلوم الحديثة. وبعد ظهور هذه

١ - Carrel : Man the unknown(1961) P.7

٢ - اعتمدنا في هذا الجزء على كتاب : التراث والتجديد للدكتور حسن خنفي مكتبة الجديد. القاهرة.

٣ - د. حسن خنفي : التراث والتجديد ص ٨٠-٨٢ مكتبة الجديد القاهرة

٤ - وحيد الدين خان : الدين في مواجهة العلم ص ٥٠ كتاب المختار الإسلامي القاهرة ١٩٧٨ م